



The Criteria Employed by Ibn 'Atiyya al-Andalusi in Evaluating and Preferring Qur'ānic Readings: An Analytical Study in the Light of His Exegetical Methodology

Mohammed Kherchi*

*University of Ziane Achour-Djelfa, Algeria, kherchi17mohammed@gmail.com

Abstract

This study presents a systematic attempt to understand the principles of Tarjeeh, which is the process of choosing the strongest opinion among the Qur'anic readings, according to Ibn Atiyyah Al-Andalusi. It provides a balanced perspective that combines narration, language, and meaning, highlighting the role of methodological criteria in Qur'anic Tafsir. The present paper contributes in accentuating the methodologies of Andalusian scholars in dealing with the diversity of Qur'anic readings.

Keywords: Ibn Atiyyah, Qur'anic Readings, Tarjeeh, Tafsir, Language.

Received: 29 June 2026

Revised: 16 September 2026

Accepted: 01 October 2026

معايير ابن عطية الأندلسي في ترجيح القراءات القرآنية: دراسة تحليلية في ضوء منهجه التفسيري

ملخص البحث

تعتبر هذه الدراسة محاولة منهجية لفهم أسس الترجيح بين القراءات عند ابن عطية، إذ تقدم رؤية متوازنة تجمع بين الرواية واللغة والمعنى، وتبرز دور المعايير العلمية في التفسير القرآني، كما تسهم في إبراز مناهج العلماء الأندلسيين في التعامل مع تنوع القراءات القرآنية. الكلمات المفتاحية: ابن عطية-القراءات القرآنية-الترجيح-التفسير-علوم اللغة.

مقدمة

علم التفسير من أهم الروافد التي تعين على فهم كتاب الله؛ لأن التفسير قائم على عدة علوم، ومن أهمها علم القراءات، فإذا كان التفسير خير معين على فهم كلام رب العالمين، فللقراءات دور مهم وأثر بالغ في التفسير، لذا احتلت القراءات مكانة عالية بين كل العلوم لأنه لا يستغني عنها - القراءات - مفسر ولا لغوي ولا نحوي ولا فقيه، وقد ظهرت مدارس اهتمت باللغة والدراسات القرآنية، ومن بينها المدرسة

الأندلسية. حيث سطع نجم مغربي أندلسي والذي عرف بعنايته البالغة بذكر وجوه القراءات شاذها ومستعملها، كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره، فكان موضوع مقالنا: (معايير الإمام ابن عطية في ترجيح القراءات).

أهداف الموضوع:

- الكشف عن المنهجية العلمية التي اتبعها ابن عطية في ترجيح القراءات.

- بيان أهمية القراءات في تفسير القرآن الكريم.

- بيان العلاقة بين التفسير والقراءات.

الإشكالية الأساسية: كيف كان ابن عطية ينتقل من مجرد عرض القراءات إلى المفاضلة بينها، وما الأسس التي تحكم هذا الترجيح، وهل كان معيارًا واحدًا أم منظومة متكاملة؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من الأسئلة، من أبرزها: ما مفهوم الترجيح بين القراءات عند ابن عطية، وما موقعه من منهجه في التفسير؟ ما أبرز المعايير التي استند إليها ابن عطية في ترجيح القراءات؟ ما مدى حضور الرسم العثماني، واللغة العربية، والسياق، والرواية، وأقوال السلف في ترجيحاته؟

الدراسات السابقة:

تناولت الدراسات السابقة شخصية ابن عطية الأندلسي ومنهجه في التفسير من زوايا متعددة، أهمها:

- **منهج ابن عطية في تفسير القرآن**، لعبد الوهاب فايد الفايد. وهو كتاب تناول منهج ابن عطية في تفسير القرآن من حيث مصادره وأصوله وطرائقه في التفسير، ولم يختص بالقراءات القرآنية، كما لم يتجه إلى دراسة المعايير التي اعتمدها ابن عطية في المفاضلة بين القراءات.

- **منهج ابن عطية في توجيه القراءات من خلال تفسيره المحرر الوجيز**، لفاطمة الزهرة بلبال، وهي رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة. وقد انصرفت الدراسة إلى بيان منهج ابن عطية في توجيه القراءات والكشف عن أساليبه في بيان وجوها للغة والتفسيرية، وهو موضوع يختلف عن موضوع البحث الحالي؛ إذ إن توجيه القراءة وبيان وجهها يختلف منهجيًا عن دراسة ترجيح قراءة على أخرى والكشف عن المعايير التي تحكم ذلك الترجيح.

- **منهج ابن عطية الأندلسي في عرض القراءات**، لفصيل بن جميل بن حسن غزاوي، وهي رسالة لنيل درجة الدكتوراه بجامعة أم القرى. وقد اهتم الباحث فيها برصد منهج ابن عطية في عرض القراءات الواردة في تفسيره وتصنيف طريقة عرضه لها، ويغلب على الدراسة جانب العرض والرصد، دون أن يكون البحث في معايير الترجيح بين القراءات هو محورها الرئيس.

منهج الدراسة:

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي في تتبع مواضع القراءات التي ظهر فيها الاختيار أو المفاضلة، والمنهج التحليلي في دراسة عبارات ابن عطية وسياقاتها والكشف عن القرائن التي صاحبت الترجيح، مع الاستفادة من المنهج المقارن عند الحاجة إلى بيان الفرق بين موقف ابن عطية مقارنة بأقوال علماء القراءات والتفسير.

المبحث الأول: مفهوم الترجيح بين القراءات وآراء العلماء

المطلب الأول: مفهوم الترجيح والاختيار والفرق بينهما

تعريف الترجيح: الترجيح لغة : مصدر رجح (والراء والجيم والحاء أصل واحد، يدل على رزانة وزيادة . يقال رجح الشيء، وهو راجح، إذا رزن ، وهو من الرجحان)ⁱ.

فالترجيح بين القراءات : (هو تفضيل أو تقوية قراءة متواترة على قراءة متواترة أخرى، أو على قراءة شاذة، أو قراءة شاذة على متواترة لأسباب معينة)ⁱⁱ.

من خلال هذا التعريف يظهر أن ترجيح القراء لا تعارض فيه .

تعريف الاختيار: جاء في اللسان في مادة خير (الخاء والياء والراء أصله العطف والميل ثم يحمل عليه ..والاستخارة : أن تسأل خير الأمرين لك)ⁱⁱⁱ.

اصطلاحاً: عرفه الشيخ طاهر الجزائري بقوله : (أن يعتمد من كان أهلاً له - الاختيار - إلى القراءات المروية فيختار منها ما هو الراجح عنده)^{iv} .

فالملاحظ أن لفظ الاختيار أغلب الذين يستعملونه هم علماء القراءات .

الفرق بين الترجيح والاختيار :

ربما في أول وهلة يتبادر لنا أن الترجيح والاختيار لهما نفس المعنى الاصطلاحي ، لكننا نجد أن الاختيار في الغالب يبنى على أسس نقلية ، كما أنه جائز بإجماع العلماء ، وأنه يقع ممن كان له أهلاً بحيث اشتهر القارئ بملازمة القراءة وعرف بذلك ، أما الترجيح فلا يرجع غالباً إلى النقل ، بل الاستعمال اللغوي أو المعنى ، كما أن الترجيح مختلف فيه ، وخاصة في المتواترة ، وقد يكون الترجيح لا تتوفر فيه شروط أهلية الإقراء ، فكل اختيار هو ترجيح وليس كل ترجيح اختيار^v .

المطلب الثاني: آراء العلماء في الترجيح بين القراءات المتواترة :

المانعين :

أبو شامة بعدما ذكر القراءات في آية الفاتحة - ملك / مالك - يرى أنهما قراءتان صحيحتان ثابتتان، ليس بمحمود إسقاط أحدهما بعد ثبوت القراءتين^{vi}.

الكواشي كذلك يرى أن ترجيح القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقطها غير مرضي^{vii} .

ويرى النحاس إذا صحت القراءتان ألا يقال إحداها أجود^{viii}.

فحجة المانعين أن ذلك يؤدي إلى إسقاط القراءة المرجوحة وتضعيفها .

المجيزين :

نرى الإمام الطبري وابن عطية والزمخشري والرازي والقرطبي وابن عاشور كل هؤلاء قد أجازوا الترجيح بين القراءات ، كما أننا نجد أن ابن عاشور أطال النفس في تجويز الترجيح ، لتفاوت بعض القراءات المتواترة في البلاغة أو من حيث كثرة المعاني، أو الشهرة^{ix}.

النتيجة :

يتبين أن الأعمال أولى من الإهمال كما تقول القاعدة الأصولية ، فإذا أمكن الجمع بين معنى القراءتين وجب العمل بذلك - وهذا الغالب عند الإمام - و إذا لم يمكن الجمع حينها يُلجأ إلى الترجيح ، ويكون ذلك على أسس ومعايير كإجماع الحجة من القراء وموافقة خط المصحف وقوة الوجه في العربية هذا من جانب ، ومن جانب آخر أنه إذا ثبتت القراءة وصح سندها لا يجوز ردها .

المبحث الثاني: صور الترجيح بين القراءات عند ابن عطية

لا تجري المفاضلة بين القراءات عند ابن عطية على صورة واحدة، بل تتعدد صورها بحسب طبيعة القراءات التي يعرضها ومجال المقارنة بينها. فقد تقع المفاضلة بين قراءتين متواترتين، وقد يوازن بين قراءة متواترة وأخرى شاذة، كما قد يورد القراءة الشاذة في سياق بيان المعنى أو تقوية أحد الأوجه التفسيرية. ومن ثم فإن دراسة أنواع الترجيح عنده تقتضي مراعاة طبيعة القراءة محل الاختيار، والتمييز بين الترجيح من حيث ثبوت القراءة وصحتها، وبين الترجيح من حيث قوة الدلالة أو ملاءمة الوجه التفسيري.

المطلب الأول: الترجيح بين القراءات المتواترة

يمكن تصنيف صور الترجيح عند ابن عطية بحسب طبيعة القراءات الداخلة في المفاضلة، مع الوقوف عند عباراته في كل موضع، وعدم حمل مجرد الاستحسان اللغوي أو التفسيري على أنه ترجيح في رتبة القراءة وثبوتها. وهذا التمييز ضروري لفهم موقفه من القراءات فهماً دقيقاً، ولا سيما في المواضع التي تجتمع فيها القراءة المتواترة والقراءة الشاذة في سياق واحد.

فلقد حاول الإمام الجمع بين القراءات في أغلب الأحيان ، لكنه رجح القراءة المتواترة على المتواترة في بعض الأحيان، ومن أمثلة هذا النوع ما يلي :عند قوله تعالى :((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ))[الفاتحة 4] رجح الإمام ابن عطية لفظ " مالك " على " مَلِك " .

قد كثر الخلاف بين هاتين القراءتين، لكل فريق حجته، ولكل قراءة خصائص ومميزات نوجزها في نقاط x:

*المَلِك مأخوذ من المُلْك ، والمالِك مأخوذ من المَلِك .

*مَلِك على وزن فَعِل ، ومالِك على وزن فاعل . - قرأ من السبع بـ " مَلِك " القراء الخمسة ، وقرأ بـ " مالِك " عاصم والكسائي فقط.

* أن لفظ " مالِك " ذكر مرتين فقط هنا وفي آل عمران ، أما لفظ " ملك " ذكر في كذا من آية .

*الفرق بين الوصفين بالنسبة للرب أن الملك صفة لذاته ، والمالِك صفة لفعله .

*معناها واحد مثل فرهين وفارهيْن ، حذرين وحاذرين.

فالقراءتان فرسا رهان ولا فرق بينهما فهما صفتان لله .فلكل قراءة فضلها كما قال الكرمانى : (و " مالِك " بالألف مأخوذ من الفعل، وبغير الألف مأخوذ من الصفة ، والمالِك أصح من المالِك في المعنى ، ، والمالِك في القراءة أفضل لزيادة حرف)^{xi} .

وعليه: أن خط المصحف يحتملها فلو كتبت بالآلف لاحتمل قراءة واحدة، وكل قراءة لها فوائدها ومزاياها فهما متكاملتان فالملك ملكه أعم وأقوى من المالك، والمالك تصرفه أقوى وأشمل. فتكون قراءة: "مَلِكٍ" أنه الحاكم بلا منازع، وتكون قراءة "مالك" أنه المتصرف والمتسلط. فاختلفت القراءتان لفظاً، واتفقتا معنى .

وعند قوله تعالى: ((أَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ)) [هود (108)] قال الإمام: (وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم- في رواية أبي بكر- "سعدوا" بفتح السين، وهو فعل لا يتعدى وقرأ حمزة والكسائي وعاصم- في رواية حفص- "سعدوا" بضم السين، وهي شاذة ولا حجة في قولهم: مسعود، لأنه مفعول من أسعد على حذف الزيادة كما يقال: محبوب، من أحب، ومجنون من أجنه الله) ^{xii} ، إذا كان الإمام قد وصف هذه القراءة بأنها شاذة فكأنه يرجح القراءة الأخرى ، إذ بضدها تتميز الأشياء كما يقال ، وكلتاها قراءة متواترة حتى وإن اختلف الفعل فيهما .

ومن أمثلة ذلك في قوله تعالى: ((يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)) [مريم (6)] قال الإمام: (وقرأ الجمهور "ويرثني" برفع الفعلين على معنى الصفة للولي وقرأ أبو عمرو والكسائي "يرثني ويرث" بجزم الفعلين، وهذا على مذهب سيبويه ليس هو جواب "هب" إنما تقديره "إن تهبه يرثني" ، والأول أصوب في المعنى لأنه طلب وارثاً موصوفاً، ويضعف الجزم أنه ليس كل موهوب يرث ^{xiii}. فالملاحظ أن الإمام ابن عطية يرجح قراءة الرفع في المعنى على الجزم ، لأنه لا يستقيم المعنى - على حسب رأيه - فتكون قراءة الجزم في الفعلين على أنهما جواب للأمر تقديره: إن يَهَبْ يَرِثُ ويرى ابن عاشور على أنه جواب للدعاء في قوله " هب لي " لإرادة التسبب ^{xiv}.

ومجمل القول أن قراءة الجزم فهي جواب "هب لي" أما قراءة الرفع على أن يكون صفة لـ "وليا" ، و آية القصص " فأرسله معي رداً يصدقني " بالجزم والرفع ، شبيهة بآية مريم ، وعليه أن هذه القراءة صحيحة لغة ، ومعنى ، وفوق ذلك أنها ثابتة ومتواترة .

المطلب الثاني: الترجيح بين القراءة المتواترة والقراءة الشاذة

تظهر في المحرر الوجيز عناية بالقراءات الشاذة وإفادة منها في التفسير. وقد أورد ابن عطية عدداً من القراءات الشاذة ووجهها، وأن بعض هذه القراءات يمكن أن تكون لها قيمة تفسيرية ولغوية مع بقائها خارجة عن القراءة المتواترة. ومن الأمثلة التي يظهر فيها أثر القراءة الشاذة في التفسير ما يتعلق بقوله تعالى: ((أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدْتُ أَنْ أُعِيْبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)) [الكهف (79)] قال الإمام: (وقرأت فرقة ^{xv} "لمساكين" بتشديد السين. واختلف في تأويل ذلك فقالت فرقة أراد بـ "المساكين" ملاحى السفينة وذلك أن المساك هو الذي يمسك رجل المركب وكل الخدمة يصلح لإمساكه، فسمي الجميع "مساكين" ، وقالت فرقة: أراد "المساكين" "دبغة المسوك"، وهي الجلود واحداً مسك. قال القاضي أبو محمد: والأظهر في ذلك القراءة الأولى وأن معناها أن السفينة لقوم ضعفاء ينبغي أن يشفق لهم) ^{xvi}.

كما يلاحظ أن ابن عطية رجح القراءة الشاذة على القراءة المتواترة وهذا قليل جدا، ومن أمثلة هذا النوع ما يلي :

رجح صيغة تفعل " متجنف " على تفاعل " متجانف " . في قوله تعالى : ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقُ الْيَوْمِ الَّذِي كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [المائدة 3] قال الإمام : (وقرأ أبو عبد الرحمن ويحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي " غير متجنف " ، دون ألف وهي أبلغ في المعنى من مُتَجَانِفٍ ، لأن شد العين يقتضي مبالغة وتوغلا في المعنى وثبوتا لحكمه، وتفاعل إنما هي محاكاة الشيء والتقرب منه. ألا ترى إذا قلت تمايل الغصن فإن ذلك يقتضي تأودا، ومقاربة ميل، وإذا قلت تمايل فقد ثبت حكم الميل، وكذلك تصاون وتصون وتغافل وتغفل)^{xvii} . وقد نقل الشيخ أبي حيان وتلميذه السمين الحلبي ترجيح الإمام ولم يعقبا ، وكأنهما يوافقانه^{xviii} .

رغم بلاغة القراءة الشاذة في المعنى وتوغلها ، لكنها تبقى دون المتواترة ، فما صحّ وثبت ، خير مما شذّ مهما بلغ ما بلغ.

وقد رجح القراءة الشاذة " يراءون " في قوله تعالى : ((إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)) [النساء 142] على قراءة الجماعة ، لأنها أقوى في المعنى ، وكذلك تعدية الفعل " رأى " بالتضعيف ، إذ يقول : (وهي أقوى في المعنى من " يراءون " ، لأن معناها يحملون الناس على أن يروهم ، ويتظاهرون لهم بالصلاة و هم يبيتونون النفاق)^{xix} . قال السمين الحلبي : (وهذا منه - الإمام - ليس بجيد لأن المفاعلة إن كانت على بابها فهي أبلغ .. وإن كانت بمعنى التفعيل فهي وافية بالمعنى الذي أراده ، وكأنه لم يعرف أن المفاعلة تجيء بمعنى التفعيل ، ومتعلق المراءة محذوف ليعم كل ما يُراءى به ، والأحسن أن تقدّر " يراءون الناس بأعمالهم ")^{xx}

المبحث الثالث: معايير الإمام ابن عطية في الترجيح بين القراءات.

إذا كان الترجيح بين القراءات عند ابن عطية يمثل جانباً من جوانب نظره التفسيري، فإن الوقوف على المعايير التي وجهت هذا الترجيح يكشف بصورة أعمق عن طبيعة منهجه في التعامل مع اختلاف القراءات. ومن هنا يتجه هذا المبحث إلى تتبع المواضع التي رجّح فيها ابن عطية بين القراءات في المحرر الوجيز، والنظر في العبارات والقرائن التي صاحبت تلك الترجيحات؛ للكشف عن المعايير التي اعتمد عليها صراحة، وما يمكن استنباطه من سياق كلامه، واستقراء ممارسته الفعلية للترجيح، ثم تصنيف المعايير التي تكشف عنها نصوصه، وبيان حضور كل منها في بناء اختياراته القرائية والتفسيرية. وبهذا يمكن الانتقال من مجرد رصد عبارات الترجيح إلى تحليل الأسس التي ارتبطت بها، بما يبرز طبيعة العلاقة بين القراءات والتفسير واللغة والرواية في منهج ابن عطية.

المطلب الأول: المعايير النقلية:

لم يكن تعامل ابن عطية الأندلسي مع القراءات القرآنية قائماً على مجرد إيراد وجوها وتعدد رواياتها، بل تجاوز ذلك إلى النظر في وجوها وتقويمها والموازنة بينها في ضوء ما يراه من أصول علمية معتبرة. ويكشف استقراء تفسيره المحرر الوجيز عن حضور واضح للنظر الترجيحي.

فقد اعتمد الإمام ابن عطية على الرواية في ترجيحه بين القراءات كميّار نقلي، حيث وظف النقل كدليل لتفضيل قراءة على قراءة، سواء مجمعا عليها من القراء، أو من قراءات الصحابة، أو اتباعا لرسم المصحف العثماني، أو اتباعا لسبب النزول. ومن ذلك: لقد رجح الإمام القراءات المجمع عليهما من القراء وجعل منها حجة.

ففي قوله تعالى: ((الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)) [النور (2)] قال الإمام (وقرأ جمهور الناس "الزانية" بالرفع، وقرأ عيسى الثقفي "الزانية" بالنصب وهو أوجه عند سيبويه لأنه عنده كقولك زيدا أضرب، ووجه الرفع عنده خبر ابتداء تقديره فيما يتلى عليكم الزانية والزاني، وأجمع الناس على الرفع، وإن كان القياس عند سيبويه النصب) ^{xxi}. وجه الرفع أن "الزانية" مبتدأ والخبر محذوف (فيما يتلى عليكم حكم الزانية) وهذا مذهب سيبويه، أو أنه مبتدأ والخبر جملة الأمر - فاجلدوا - وهذا مذهب الأخفش والقراء والمبرد والزجاج، ووجه النصب على الاشتغال أوجه عند سيبويه كقولك زيدا فاضربه ^{xxii}.

فالقراءة المشهورة بالرفع وهي اختيار الخليل وسيبويه واختيار الأكثرين والقراء والمبرد والزجاج ^{xxiii}. ومثلها قوله تعالى: ((والسارق والسارقة)) [المائدة 37] ^{xxiv}.

ومن الترجيح بالرواية قراءة النبي صلى الله عليه وسلم حيث يجعلها معيارا يستند إليه في ترجيحاته، وذلك في قوله تعالى: ((فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا)) [الأعراف: 143] ذكر بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قرأ (دكا) بغير همز، وكذلك ابن مسعود وأنس والحسن وأبو جعفر وشيبة ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم وابن عامر كلهم قرؤوها بدون همز، وقرأ حمزة والكسائي وابن عباس والربيع وغيرهم (دكاء) على وزن حمراء ^{xxv}. ويلاحظ (أن ابن عطية ابتداء بنسبة قراءة "دكا" إلى النبي ثم إلى القراء وهذا لم يفعله في قراءة "دكاء" وكأنه يقوي ويدعم تلك القراءة بنسبتها إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهذا يوهم بأن القراءة الثانية لم تثبت عن النبي بل تثبتت عن القراء، وهذا غير صحيح لأن كلا القراءتين ثابتة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) نقلها إلينا القراء بالسند المتصل) ^{xxvi}.

ومن الترجيح بالرواية الترجيح بمصاحف الصحابة، فقد رجح الإمام قراءة ابن مسعود عند قوله تعالى: ((أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا)) [الكهف (102)] قال الإمام: (وقرأ جمهور الناس: "أفحسب الذين" بكسر السين بمعنى: أظنوا، وقرأ علي بن أبي طالب والحسن وابن يعمر ومجاهد وابن كثير بخلاف عنه: "أفحسب" بسكون السين وضم الباء بمعنى أكافئهم ومنتهى غرضهم، وفي مصحف ابن مسعود "أفطن الذين كفروا"، وهذه حجة لقراءة الجمهور) ^{xxvii}. بعدما ذكر الإمام أوجه القراءات رجح قراءة الجماعة بما في مصحف ابن مسعود التي جاءت على الماضي، وفي القراءة الأخرى جاءت مضافة إلى "الذين". يرى ابن عطية أن قراءة الجمهور أقوى من غيرها.

كما رجح بالحديث الشريف ففي قوله تعالى : ((يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا)) [طه (102)] رجح الإمام ضمناً قراءة الجمهور بسكون الواو "في الصور" بما جاءت به الأحاديث ، فالصور على مذهب الجمهور أنه القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ، وعلى قراءة ^{xxviii} فتح الواو "الصور" جمع صورة كثرة وثمر ^{xxix}.

كما رجح بسبب النزول ففي قوله تعالى : ((قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلْبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ)) [آل عمران 12- 13] بعدما ذكر القراءات الواردة في الآية، تبع أبا علي في ترجيحه قراءة " التاء " حيث قال : (ونحنا إلى هذا أبو علي في الحجة ، وتظاهرت روايات بأن المراد يهود المدينة، قال ابن عباس وغيره: لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر، وقدم المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا فقالوا يا محمد: لا يغرنك نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، فأنزل الله في قولهم هذه الآية) ^{xxx}.

المطلب الثاني: المعايير اللغوية والبلاغية:

تظهر أهمية الجانب اللغوي والبلاغي في علم القراءات من كون القراءة القرآنية لها وجه لغوي محتمل، ومن ثم فإن الاعتماد على اللغة يمثل أحد الأصول المهمة في التعامل مع القراءات، حيث اعتمد ابن عطية في ترجيحه على اللغة وجعلها معيارا هاما في تفسيره، وذلك في قوله تعالى : ((يَكَادُ الْبَرَقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [البقرة 20] فقال : (واختلفت القراءة في هذه اللفظة فقرأ جمهور الناس: "يخطف أبصارهم" بفتح الياء والطاء وسكون الخاء، على قولهم في الماضي خطف بكسر الطاء وهي أفصح لغات العرب، وهي القرشية) ^{xxxi}. حيث رجح قراءة الجماعة لأنها لغة قرشية وهي أفصح لغات العرب.

وقد استند في ترجيحاته على البلاغة وجعلها معيارا يستند إليه ، ففي قوله تعالى : ((قل إن الأمر كله لله)) [آل عمران 154] رجح الإمام قراءة النصب في " كله " التي قرأ بها السبعة ، إلا أبا عمرو قرأها بالرفع ، على أنه مبتدأ ^{xxxii}، وقد أجاز أبو حيان في قراءة الرفع أن يعرب (المبتدأ) تأكيدا للأمر على الموضع ، على مذهب من يجيز ذلك كالزجاج والفراء ، ثم عقب على ابن عطية ، بأنه لا ترجيح إذ كل من القراءتين متواتر ، والابتداء بـ(كل) كثير في لسان العرب ^{xxxiii}.

فالقراءتان متواترتان سواء كانت بالتأكيد أو كانت بالابتداء فالأمر لله وحده .

ومن باب مراعاة الفواصل عند قوله تعالى : ((إِذْ أَوْى الْقِتْنَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)) [الكهف (10)] قال الإمام : (وقرأ الجمهور "رشدا" بفتح الراء والشين، وقرأ أبو رجاء "رُشدا" بضم الراء وسكون الشين، والأولى أرجح لشبهها بفواصل الآيات قبل وبعد) ^{xxxiv}.

رجح المتواترة على الشاذة لمنحى بلاغي وهو مراعاة الفاصلة (أسفا) ، (عملا) ، (عجبا) ، (رشدًا) ، (عددًا) .

ومن باب المناسبة في قوله تعالى : ((وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى)) [طه (13)] قال الإمام : (وقرأ السبعة غير حمزة "وأنا اخترتك" ويؤيد هذه القراءة تناسبها مع قوله "أَنَا رَبُّكَ" وفي مصحف أبي بن كعب "وأني اخترتك")^{xxxv} .

يرى الإمام بأن قراءة السبعة - غير حمزة - متناسبة مع ما قبلها من حيث الأفراد تبعا لسياق الآية التي قبلها. وربما تكون قراءة حمزة "وأنا اخترناك" كذلك متناسبة مع ما بعدها من الآيات "مننا" "أوحينا" "فجنيناك" كلها على نون العظمة ، امتنانا على موسى وتذكيره بنعمة الاصطفاء والنبوة والوحي والنجاة والله أعلم .

ومن المناسبة كذلك في قوله تعالى : ((وَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ)) [غافر (21)] قال الإمام : (وقرأ ابن عامر وحده: "أشد منكم" بالكاف، وكذلك هي في مصاحف الشام، وذلك على الخروج من غيبة إلى الخطاب. وقرأ الباقر: "أشد منهم" وكذلك هي في سائر المصاحف، وذلك أوفق لتناسب ذكر الغيب)^{xxxvi} .

حيث يرى الإمام بأن قراءة "منهم" على الغيبة مناسبة لقوله تعالى "أو لم يسيروا" أي : يسيروا هم ، هذا على قراءة الجمهور ، فرجحها الإمام بذلك ، ونلاحظ في كلام الإمام أنه ذكر الالتفات في قراءة ابن عامر ، وكأن المناسبة أقوى -عنده - من الالتفات .

ومن باب الالتفات عند قوله تعالى: ((وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)) [الأحزاب (2)] قال الإمام : (وقرأ أبو عمرو وحده "يعملون" بالياء، والتوعد على هذه القراءة للكافرين والمنافقين أبين)^{xxxvii} .

يرى الإمام بأن قراءة الغيبة أبين لما فيها من الالتفات من الخطاب للغيبة ، أي : اتبع ما أوحى إليك أنت وممن معك من المؤمنين فهذا خطاب له ، خاص به ، لكنه للمؤمنين عام ، ثم توعد هؤلاء الكافرين والمنافقين بأنه عليم بأعمالهم ، خبير بأحوالهم . وهذا الذي لمح إليه أبو حيان في بحره فقال : (وقرأ أبو عمرو " بما يعملون " الأولى والثانية بياء الغيبة وباقي السبعة بتاء الخطاب ، فجاز في الأولى أن يكون من باب الالتفات ، وجاز أن يكون مناسبا لقوله " واتبع ")^{xxxviii} .

فالقراءتان متواترتان ، سواء توعد الكافرين والمنافقين بأنه عليم بفعلهم ، خبير بحالهم وهذا على قراءة الغيبة ، أو انه مطلع عليكم أيها المؤمنون فاحذروه ، واتبعوا أمره ونهيه ، وهذا على قراءة الخطاب .

وقد يكون السياق عاملا في الترجيح بين القراءات عن ابن عطية، فقد رجح لفظ "الإسلام" لما ذكرهم الله بنعمه ، طمعا في إسلامهم ، فكان مناسبا لسياق الآية كما في قوله تعالى : ((وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْأَسْكَمَ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ)) [النحل (81)] قال الإمام : (وقرأ الجمهور "تسلمون" من الإسلام، وقرأ ابن عباس

"تَسْلَمُونَ" من السلامة، فتكون اللفظة مخصوصة في بأس الحرب، وما في "لعل" من الترجي والتوقع فهو في حيز البشر المخاطبين، أي لو نظر الناظر هذه الحال لترجى منها إسلامهم^{xxxix} .

رجح الإمام ضمناً قراءة الجمهور على قراءة ابن عباس للمعنى الذي تحمله قراءة الجمهور ، لما في "لعل" من معنى الترجي والتوقع نظراً لحالهم رجاء أن يسلموا . فالقراءتان محمودتان ، ففي قراءة ابن عباس جاءت خاصة في الحرب ، هذا إذا حملنا لفظ "البأس" على أنه الحرب ، فيكون المعنى : سراويل تقيكم أذى الحرب لعلمكم تَسْلَمُونَ وتتجون ، أما في قراءة الجمهور فهي عامة في الحرب وفي السلم ، أي : بعدما عدد لهم النعم ، كان الأجدر بها أن يشكروا ، ومُؤدى الشكر هو إسلامهم .

خاتمة:

- بعد التجوال بين ثنايا القراءات، فقد حان بسط الرحال لعرض أهم النتائج:
- لاحظنا أن الإمام ابن عطية قد رجح بعض القراءات الشاذة على المتواترة ، وقد بينا أنه لا يسقط القراءة المتواترة ، فهو يرى قوتها من جهة المعنى ، لكننا ننبه على خطورة هذا المنحى ، وأنه يعرض القراءات الثابتة إلى ردها أو الطعن فيها بحجة اللغة أو المعنى .
 - يتضح من خلال دراسة معايير الترجيح بين القراءات عند الإمام ابن عطية أن تعامله مع القراءات لم يكن مجرد عرض للنقول القرائية، وإنما كان جزءاً من ممارسة تفسيرية تجمع بين الرواية واللغة والسياق والبلاغة.
 - جمع الإمام ابن عطية في تفسيره بين الأصالة من حيث النقل ، والتجديد من حيث الرأي والاجتهاد المحمود المضبوط بشروطه المعلومة .
 - يعتبر توجيه القراءات عاملاً أساسياً في ترجيح القراءات عند الإمام، والمعايير التي انطلق منها الإمام معايير عقلية ومعايير اجتهادية قياسية؛ لأن الترجيح في الغالب يستند إلى الرأي والاجتهاد .
 - لا تبدو معايير الترجيح عند ابن عطية منفصلة تماماً، بل قد تتداخل الرواية واللغة والسياق والدلالة في توجيه الاختيار.
 - يعتبر تفسير المحرر الوجيز من أهم التفاسير التي اعتنت بالقراءات شاذها ومستعملها .
- المقترحات:** الطبعة التي اعتمدنا عليها كانت غير كافية فنقترح أن تخرج أحاديث المحرر ، وتشكل الآيات ، وأن تنسب الأبيات إلى قائلها .
- فهرس المصادر والمراجع :** أعلاها وأشرفها القرآن الكريم
- الكتب:**

*- إبراز المعاني من حرز الأمانى ، أبو شامة ، تحقيق إبراهيم عوض ، دار الكتب العلمية.

*- الإتيان في علوم القرآن ، السيوطي ، تحقيق مركز الدراسات القرآنية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف السعودية، ج 1 ، د ط ، د ت .

- *-البحر المحيط ، أبو حيان . تحقيق عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ محمد علي عوض ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 ، 1413 هـ -1993 م .
- *-التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور، دار التونسية ،1984.
- *- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإقتان، طاهر الجزائري ، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية بيروت ، ط 3 ، 1412 هـ .
- *- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، تحقيق عبد المحسن التركي ، محمد رضوان عرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ج 1 .، ط 1 ، 1427 هـ -2006 م .
- *-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد ابن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق أحمد محمد الخراط ،دار القلم دمشق .
- *- الكتاب ، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط 3 ، 1408 هـ - 1988 م .
- *- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الإمام ابن عطية ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 ، 1422 هـ -2001 م .
- *- المصباح المنير ، الفيومي ، مكتبة لبنان ، د ط ، 1987 م .
- *- روح المعاني للألوسي، دار إحياء التراث العربي بيروت . د ط ، د ت .
- *- زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط 3 ، 1404 هـ .
- *- فتح القدير للشوكاني ، اعتنى به يوسف الغوش ، دار المعرفة بيروت ، ط 4 ، 1428 هـ - 2007 م .
- *- معالم التنزيل للبغوي ، تحقيق أساتذة ، دار طيبة الرياض ، ط 1 ، 1409 هـ .
- *- معجم القراءات ، عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين دمشق ، ط 1 ، 1422 هـ -2002 م .
- *- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر، 1399 هـ / 1989 م .
- *- مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ، أبو العلاء الكرمانى ، تحقيق د/ عبد الكريم مصطفى مدلج ، دار ابن حزم بيروت ، ط 1 ، 1422 هـ - 2001 م .

الرسائل:

- *- منهج المفسرين في قبول القراءات والترجيح بينها ، فاطمة الزهرة بلبال ، رسالة دكتوراه جامعة قسنطينة ، 2012 م -2013 م .

المجلات:

- *- منهج السمين الحلبي في توجيه القراءات ، أ/ بسام رضوان عليان ، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، يونيو2012 ، العدد 2 ، المجلد 20.

الهوامش:

- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، 1399هـ / 1989م . ج1 ، ص 489. ⁱ
- ينظر: المصباح المنير ، الفيومي ، مكتبة لبنان ، د ط ، 1987م . ص 83.
- ⁱⁱ – منهج السمين الحلبي في توجيه القراءات ، أ/ بسام رضوان عليان ، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية ، يونيو 2012 ، العدد 2 ، المجلد 20 ، ص 41 .
- ⁱⁱⁱ – معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ج2 ، ص 232 .
- ^{iv} – التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتيان ، طاهر الجزائري ، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية بيروت ، ط 3 ، 1412 هـ ، ص 121 .
- ^v – منهج المفسرين في قبول القراءات والترجيح بينها ، فاطمة الزهرة بلبال ، رسالة دكتوراه جامعة قسنطينة ، 2012م – 2013 م ، ص 144 – 145 .
- ^{vi} – إبراز المعاني من حرز الأمان ، أبو شامة ، تحقيق إبراهيم عوض ، دار الكتب العلمية ، ص 70 .
- ^{vii} – الإتيان في علوم القرآن ، السيوطي ، 2 / 536 .
- ^{viii} – الإتيان في علوم القرآن ، السيوطي ، 2 / 537 .
- ^{ix} – التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور ، ص 61-62-63 .
- ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد ابن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق أحمد محمد ^x الخراط ، دار القلم دمشق ، 48/1 . معجم القراءات ، عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين دمشق ، ط 1 ، 1422هـ . - 2002م ، 8/1 - 9 . معالم التنزيل للبغوي ، تحقيق أساتذة ، دار طيبة الرياض ، ط 1 ، 1409 هـ ، 52/1 . فتح القدير للشوكاني ، اعتنى به يوسف الغوش ، دار المعرفة بيروت ، ط 4 ، 1428هـ - 2007 م ، 18/1 . روح المعاني للألوسي ، دار إحياء التراث العربي بيروت . د ط ، د ت ، 1 / 87 .
- ^{xi} – مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ، أبو العلاء الكرمانلي ، تحقيق د/ عبد الكريم مصطفى مدلج ، دار ابن حزم بيروت ، ط 1 ، 1422 هـ - 2001 م ، ص 96 .
- ^{xii} – المحرر الوجيز ، 3 / 209 .
- ^{xiii} – المحرر الوجيز ، 5/4 .
- ^{xiv} – التحرير ، ابن عاشور ، 16 / 68 .
- ^{xv} – والفرقة : علي ابن أبي طالب و قطرب . ينظر : معجم القراءات للخطيب . 5 / 282 .
- ^{xvi} – المحرر الوجيز ، 3 / 534 .
- ^{xvii} – المحرر الوجيز ، 2 / 155 .
- ^{xviii} – الدر المصون ، 4 / 200 .
- ^{xix} – المحرر الوجيز ، 2 / 127 .
- ^{xx} – الدر المصون ، للسمين الحلبي ، 4 / 126 .
- المحرر الوجيز ، 4 / 160 . البحر لأبي حيان ، 6 / 393 . الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة ^{xxi} الخانجي القاهرة ، ط 3 ، 1408هـ - 1988م ، 1 / 142 .
- ^{xxii} – الدر للسمين الحلبي ، 8 / 377 - 378 .
- ^{xxiii} – زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط 3 ، 1404 هـ ، 6 / 5 . تفسير القرطبي ، 15 / 103 .
- ^{xxiv} – ينظر : الدر المصون ، 4 / 257..260 (فيه كلام نفيس)

-
- xxv - المحرر الوجيز ، 2 / 451 .
- xxvi - منهج المفسرين في قبول القراءات والترجيح بينها ، فاطمة الزهراء بلبال ، رسالة دكتوراه جامعة قسنطينة ، 2012م - 2013 م ص 180 .
- xxvii - المحرر الوجيز ، 3 / 545 .
- xxviii - قرأ بها الحسن وابن عياض وجماعة وعبد الله ابن عباس (معجم القراءات للخطيب ، 5 / 496) .
- xxix - المحرر الوجيز ، 4 / 63 .
- xxx - المحرر الوجيز ، 1 / 406 .
- xxxi - المحرر الوجيز ، 1 / 103 .
- xxxii - المحرر الوجيز ، 1 / 528 .
- xxxiii - البحر المحيط ، أبو حيان ، 3 / 96 .
- xxxiv - المحرر الوجيز ، 3 / 500 .
- xxxv - المحرر الوجيز ، 4 / 39 .
- xxxvi - المحرر الوجيز ، 4 / 535 .
- xxxvii - المحرر الوجيز ، 4 / 367 .
- xxxviii - البحر المحيط ، أبو حيان ، ج 7 / 206 .
- xxxix - المحرر الوجيز ، 1 / 558 .